مقاييس وضوابط

النقد الأدبي في العصر الأموي

بقلم الأستاذ الدكتور خليل الرحمن *

دارت الأيام دورتها وانتهى عصر الخلافة الراشدة، وانفتح باب جديد في التاريخ الإسلامي من بداية العصر الأموي، فتغيرت الحياة مع تطور الظروف الإجتماعية في البلاد، ونشطت العقلية العربية بتأثرها بالحياة الجديدة التي كانت مملوءة من أولها إلى آخرها بالحوادث الخارجية والداخلية من الحروب والفتوح والنزاعات السياسية والخلافات العقائدية، وكان لذلك آثار بارزة في مختلف الميادين حيث اتسعت أمام الأمة العربية مجالات نشاطها، وانفسحت لها آفاق عديدة للتفكير، لاحظت فيها أنواعا من الحياة جعلتها تتعرف وتتطلع إلى مثل عليا غير المألوفة لديها في العهد الجاهلي وعصر صدر الإسلام.

وكان تأثر الأدب والنقد بذلك تأثرا ملحوظا، فتقدم الأدب وازدهر النقد إذا استجدت ألوان جديدة في التفكير والمعاني والأسلوب

---

* – رئيس تحرير المجلة ومدير مركز الشيخ زايد الإسلامي جامعة كراتشي.

والنظم، حيث عكف كثر من المتذوقين للأدب من الخلفاء والأمراء والأدباء والشعراء وغيرهم على الأدب ليعرفوا أنواع الجودة والرداءة، ويميزوا بين ما هو حسن وما هو قبيح معتمدين على المقاييس النقدية في أذهانهم.

نذكر فيما يلي بعض هذه المقاييس والضوابط التي علي أساس منها نقد الأدب في مجالس الخلفاء الأمويين.

النقد الأدبي:

١ – إساءة التعبير:

المديح من الأغراض الشعرية التي تناسب القصور والملوك، فينبغي للشاعر أن يكون حذرا تمام الحذر في هذا الموقف من ناحية الاختيار للكلمات، ونسجها وغير ذلك مما يتطلبه المقام، وإلا كان معرضا للنقد والسخط والحرمان.

من ذلك أن يخاطب الشاعر ممدوحه بصورة قبيحة سيئة لا تليق بمقام الممدوح، ولهذا عاب عبد الملك بن مروان على أرطأة بن سهية الشاعر [١] قوله :

رأيت المرء تأكله الليالي كأكل الأرض ساقطة الحديد

---

[١] – هو ارطارة بن زفر بن عبد الله بن مالك، وسهية أمه، وهو شاعر فصيح، معدود في طبقات الشعراء المعدودين من شعراء الإسلام في دولة بنى أمية لم يسبقها ولم يتأخر عنها، وكان امرأ صدوقا شريفا في قومه جوادا "أنظر أخباره في الأغاني ١٣/٢٩-٤٤".

وما تبغي المنية حين تأتي على نفس ابن آدم من مزيد

واعلم أنها ستكر[٢] حتى توفي نذرها بأبي الوليد [١]

فارتاع عبد الملك، ثم قال : بل توفي نذرها بك، مالي ولك؟ وكان أرطأة يكني بأبي الوليد، وكان عبد الملك –أيضا– يكنى بأبي الوليد، واشتد عليه وتغير وجهه وظن أنه يعنيه، فقال الشاعر : لا ترع يا أمير المؤمنين إني لم أعنك، وإنما عنيت نفسي، فسكن عبد الملك، وقال: وأنا –أيضا– ستكر على المنية [٣].

هذا نوع من إساءة التعبير وناشىء عن غفلة الشاعر، وكأنه نسي أن الخليفة أيضا يكنى "أبا الوليد" تماما كما يكنى هو بذلك، ومن هنا لام الخليفة الشاعر لأنه استعمل اسما يوافق اسمه ابنه، وكان ينبغي له أن يجتنب مثل هذا الأسلوب الذي يمكن أن يكرهه الممدوح ولا يحبه بل يتطير منه.

وكذلك يبدو أن إساءة التعبير هي التي جعلت الخليفة يرد على جرير قوله:

هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شئت ساقكم إلى قطينا[٤]

---

[١]– المنية : الموت، جمعها المنايا.

[٢]– أي تعود مرة بعد مرة "المعجم الوسيط".

[٣]– أنظر الموشح ٢١٩، والأغاني ٣١/١٣.

[٤]– القطين: أهل الدار، الخدم والحشم "المعجم الوسيط".

قائلا ما زاد ابن المراغة على أن جعلني شرطيا، أما إنه لو قال:

لو شاء ساقكم إلى قطينا

لسقتهم إليه كما قال [1]:

هذا النص قريب إلى حد ما مما سبق لاحتوائه على إساءة التعبير كذلك، غير أنها هنا لا ترجع إلى غفلة الشاعر، بل ترجع إلى إحساسه بالغرور والتعالي، لأنه رفع نفسه مقابل الخليفة حيث نسب الفعل، "شئت" إلى نفسه، وكان يفترض أن يقول "شاء" كما صرح بذلك الخليفة نفسه.

٢- سوء الاستهلال:

ينبغي للمتكلم أن يتأنق في بداية الكلام، وذلك بأن تكون البداية أعذب لفظا وأرصن سبكا وأكرم معنى، لأن ابتداء الكلام هو أول ما يقرع آذان السامع، فهو أحق بالرعاية، وأولى بالعناية، أي إنه ينبغي أن يكون الاستهلال بما يعجب به المخاطب، ويحترز في مفتتح الأقوال مما يتطير منه السامع ويكره سماعه.يبدو ذلك واضحا من أنه لما أنشد الأخطل عبد الملك:

خف [2] القطين [3] فراحوا [4]منك أو بكروا [5]

---

[1]- أنظر الأغاني ٦٠/٨، والموشح : ١٠٩، ١١٥.

[2]- خف أي ارتحل بسرعة.

[3]- أهل الدار، الخدم والحشم.

[4]- أي خرجوا في العشي.

[5]- أي خرجوا أول النهار قبل طلوع الشمس. "المعجم الوسيط"

قال عبد الملك: "بل منك لا أم لك" وتطير عبد الملك من قوله، فعاد فقال:

فراحوا إلى اليوم أو بكروا [1]

أسس الشاعر كلامه على ما تطير منه الخليفة، فعابه على ذلك رغم أنه كان يعرف أن الشاعر إنما يخاطب نفسه دونه، وإنما لامه لقبح استهلاله للقصيدة.

ويذكرنا ما سبق بما روته كتب الأدب عن جرير الشاعر لما أوفده الحجاج إلى عبد الملك بن مروان فأنشده قوله:

اتصحوا أم فؤادك غير صاح عشية هم صحبك [2] بالرواح [3]

فقال: "بل فؤادك" [4].

٣- الابتكار والابتداع:

كان من أثر الفتوحات الإسلامية الاختلاط بالأمم الأخرى مما تسبب عنه معرفة كثير من الألوان الجديدة في الأسلوب والخيال، والتفكير والنظم، وبدأت العقلية العربية تتطلع إلى الأشياء التي لم تألفها في العصر الماضي، ويرجع الفضل في جانب من ذلك إلى بعض

---

[1]- الموشح ١٢٩، ٢١٧، ٢١٨.

[2]-جمع صاحب وهو المرافق.

[3]- هم بالأمر : أي عزم القيام به ولم يفعله.

[4]- الرواح هو السير في العشي، ويستعمل للمسير في أي وقت كان. "المعجم الوسيط"

الخلفاء الذين تنبهوا إلى كثير مما تتطلبه الحياة الجديدة الحضرية ووجهوا الأدباء والشعراء إلى ذلك.

وها هو ذا الخليفة يزيد بن معاوية يدعو جماعة من الشعراء في مجلسه إلى محاولة القيام بالتغيير في بناء القصيدة العربية قائلا : "عجبى لكم معشر الشعراء في الشام، يقف أحدكم على الطلل[1] البالي فيستنزف[2] شعره في وصفه، وعندكم "تدمر"[3] وفيها ما فيها من تماثيل[4] ومحاريب[5] وتهاويل[6]، هي أحق بالوقوف والوصف، تمرون بها كالبكم[7]

---

[1]- الطل هو ما تبقى شاخصا من آثار الديار ونحوها، جمعه الأطلال.

[2]- يستنزف أي يفنى.

[3]- تدمر بالفتح ثم السكون وضم الميم، مدينة مشهورة في برية الشام، سميت على اسم تدمر بنت حسان بن أذينة بن السميدع بن مزيد بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام، وهذه المدينة من عجائب الأبنية، كان من جملة التصاوير التي بها صورة جاريتين من حجارة من بقية صور كانت هناك، فمر بهما أوس بن ثعلبة صاحب قصر أوس في البصرة فنظر إلى الصورتين فاستحسنهما فقال:

فتأتي أهل تدمر خبر أني ألما تسأما طول القيام "الأبيات"

ثم قدم على يزيد بن معاوية فأنشده هذه الأبيات، فقال يزيد : لله در أهل العراق، هاتان الصورتان فيكم يا أهل الشام لم يذكرهما أحد منكم، فمر بهما هذا العراقي مرة فقال ما قال "أنظر معجم البلدان ٢/١٧-١٩"

[4]- تماثيل جمع تمثال، وهو ما نحت من حجر أو صنع من نحاس ونحوه يحاكى به خلق من الطبيعة.

[5]- محاريب جمع محراب.

[6]- تهاويل جمع تهويل وهو ما هول به.

[7]- البكم جمع أبكم وهو من عجز عن الكلام "المعجم الوسيط".

أو العمى [1].

يدعو الخليفة الشعراء إلى محاولات الابتكار وعدم الجمود في الصور الشعرية، ويهيب بهم خاصة إلى التغيير في بعض الأنماط الفنية التي تعودت عليها طبائعهم منذ القديم، مثل التمهيد للغرض الشعري في بداية القصيدة بالوقوف على الأطلال وذكر الآثار.

ومبالغة الشعراء في التمسك بالطرق التقليدية في النظم جعلت عبد الملك ابن مروان يعيب على ذى الرمة قصيدته التي أطال فيها مدح ناقته قائلا:

"ما مدحت إلا ناقتك فخذ منها الشواب" [2].

يبدو من قول الخليفة أن وجه عيبه على الشاعر هو المبالغة في اقتضاء الطريقة القديمة في نظم القصائد، حيث كان الشاعر يبدأ قصيدته بالتمهيد الذي هو عبارة عن البكاء على الأطلال، وذكر الأحبة وتحمل مشقات السفر، وذكر الوحوش، ومدح الناقة ووصفها بأوصاف جميلة وغير ذكل مما كان يمهد به لقصيدته ثم يتجه إلى القصد الذي لأجله أراد أن ينظم القصيدة، فكره الخليفة من الشاعر مبالغته في التمسك بالطريقة التقليدية، لأن عدم خروجه عن المألوف فيها جعله ينسى القصد الحقيقي من القصيدة – وهو المدح– وينصرف إلى شيء

---

[1] – الشعر في العصر الأموي "لخليل مردم بك" مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٥م ج ١ م ٣٠ صفحة ٦.

[2] – النقد الأدبي لأحمد أمين ٤٦٦.

هامشي إضافي زائد، وكان الخليفة بهذا النقد يدعو إلى رعاية المواقف رعاية شديدة، كما يدعو إلى عدم إعطاء الهامشيات أكثر مما تستحق على حساب الغرض الأصلي.

ومن أبرز الدعوات إلى الابتكار والتغيير في نظم القصائد، حسبما تتطلبه ظروف الحضارة الجديدة، مما قاله معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما للأخطل عند ما وفد عليه وقال : "إني قد امتدحتك بأبيات فاسمعها، فقال: إن كنت شبهتنى بالحية، والأسد والصقر فلا حاجة لى بها، وإن كنت كما قالت الخنساء [1]، وأنشد البيتين، فقال الأخطل: والله لقد أحسنت، فقد قلت فيك بيتين ما هما بدونهما، ثم أنشد :

إذا مت مات العرف [3]وانقطع الندى [4] فلم يبق إلا من قليل مصرد [2]

وردت أكف السائلين وامسكوا عن الدين والدنيا بحزن مجدد [5]

---

[1] – متى عاضر بن عمرو بن بنى سليم، أشهر شواعر العرب، عاشت أكثر عمرها في الجاهلية، وأدركت الإسلام، فأسلمت ووفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها بنى سليم، فكان صلى الله عليه وسلم يستنشدها ويعجبه شعرها، أكثر شعره وأجوده رثاؤها لأخويها صخر ومعاوية، وكانا قد قتلا في الجاهلية، توفيت سنة ٢٤هـ "انظر الأعلام ٢/٦٩".

[2] – اسم مفعول من التصريد، وهو التقليل، يقال صرد الشيء : أي قلله، ومنه صرد عطاءه "أنظر المعجم الوسيط"

[3] – المعروف.

[4] –الندى هو الجود والسخاء.

[5] – زهر الأداب وثمر الألباب ٤/٦٥.

يظهر من كلام أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه أنه لا يجب سماع ما فيه تقليد لمن سبق من الشعراء، وبذلك يعيب على الشعراء التزام الصور المكررة التي لا ابتكار فيها ولا تجديد، وهو يرسم لهم طريق المدح الجيد على أساس الابتكار في الأسلوب والابتداع في الخيال، لأن وصف الممدوح بصفات الكمال الإنسانية أولى وأحسن من أن يلحق بجنس الحيات والعقارب والطيور والأسود المفترسة والنمو الضارية.

النقد المعنوي:

١- الصحة المعنوية وملاءمة العبارة للموقف:

ينبغي على الأديب أو الشاعر أن يعنى عناية شديدة باختيار الكلمات التي تناسب الموقف الذي يريده، لأنه ليست كل كلمة تناسب كل موقف، فلكل مقام مقال، ولكل موقف كلمات، وأسلوب وعدم رعاية ذلك يجعل الكلام معيبا.

ولأجل ذلك عاب عبد الملك على كثير قوله في عزة.

فقلت لها يا عز[٢] كل مصيبة إذا وطنت[١] يوما لها النفس ذلت

بقوله: لو قال كثير بيته في حرب لكان أشعر الناس، كما عاب على القطامي بيته، الذي وصف فيه مشيه الإبل:

---

[١]- وطن: يقال وطن نفسه على الأمر وله : أي حملها عليه.

[٢]- عز اسم معشوقه، الشاعر، وهي عزة بنت جميل بن وقاص بن ضمرة"أنظر تاريخ آداب اللغة العربية" ١/٢٨٧، ٢٨٨.

يمشين رهوا[1] فلا الاعجاز خاذلة[2] ولا الصدور على الاعجاز تتكل

بقوله : لو أنه قاله في النساء لكان أشعر الناس [3].

نرى الخليفة مصيبا في نقده لشعر كثير، لأن استخدام كلمة "مصيبة" في جو الغزل الرقيق استخدام غير موفق، لأن وقع الكلمة يتنافى مع الموقف، وربما يعطى الانطباع بأن الشاعر يعتبر الحب مصيبة مع أنه ليس كذلك، وإنما هو شيء في طبيعة الإنسان، ينبغي عليه أن يتجلد أمامه ويتحمل كل ما يعانيه في سبيله، ولا يعتبر ذلك مصيبة أو مشقة، ثم ان اختيار الشاعر مثل هذا الأسلوب الحزين عند مخاطبته حبيبته غير مناسب كذلك، ومن المعروف أن شدائد الحرب ومصائب القتال تخف أو تزول بالثبات والصبر على العكس تماما بل يزداد العاشق بهما حبا وولوعا، لذلك قال الخليفة : إن هذا البيت أنسب في وصف الحرب.

وأما البيت الثاني للقطامي فنحن نجد الخليفة -أيضا- مصيبا في نقده، لأن سير الإبل أو مشيتها لا ينبغي أن يوصف بالرهو، إذ أن سير الإبل لا يكون سهلا، وإنما يكون شديدا كثير الحركة،وينبغي أن توصف بصفة "الرهو" الفتاة الجملية الرشيقة لمناسبتها لها، ثم إن صدور الإبل لا تسبب الثقل على إعجاز، لأن خلقتها الفطرية الطبيعية

---

[1] - الساكن يقال افعل ذلك رهوا: أي ساكنا على هينتك.

[2] - خاذلة يقال : فلان خذول الرجل : أي تخذله رجله من ضعف أو عاهة أو سكر "المعجم الوسيط".

[3] - أنظر الموشح ١٣٣، وانظر الكامل للمبرد ١/١٩٠.

تخالف ما ذهب إليه الشاعر، وبتأمل قليل نجد أن وصف المرأة بكونها مهفهفة دقيقة أحسن وأجمل وأنسب من أن توصف الناقة بهذه الصفة، ويقال: إن المرأة تكون غاية في الجمال إذا كان لها جسمان في الظاهر حيث يخيل إلى الناظر إلى جسمها بأن النصف الأعلى لا يستند ولا يتكل على النصف الأسفل.

٢- إجادة التصوير:

ومما يزيد الشعر حسنا وجمالا وقوة كون الشاعر قادرا على وصف الشيء وصف من يعرفه حق المعرفة، ويصوره تصويرا رائعا صادقا حيا، وينبغي على الشاعر أن يعمل جادا في الوصف لتوضيح حقيقة الموصوف إلى حد يظهر بأنه يعايشه، ويقدم صورته الحقيقية للمخاطب فيخيل إليه كأنه يراه بعيني رأسه، فمن استطاع ذلك فقد أوتي حظا كبيرا من القدرة الفائقة على التعبير والتصوير، وعلى هذا الأساس استحسن عمر بن عبد العزيز قول قيس بن الخطيم [١].

بين شكول [٢] النساء خلقتها قصد [٣] فلا جبلة [٤] ولا قصف [٥]

---

[١]- هو شاعر الأوس وأحد صناديدها في الجاهلية، وله في وقعة "بعاث" التي كانت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة أشعار كثيرة، أدرك الإسلام فتريث في قبوله، فقتل قبل أن يدخل فيه، وفي الأدباء من يفضله على شعر حسان بن ثابت، توفي قبل الهجرة بنحو سنتين "أنظر الأعلام" ٦/٥٥.

[٢]- شكول جمع شكل وهو الصورة.

[٣]- قصد أي لا جسيم ولا نحيف.

[٤]- الجبلة هي القوة والصلابة.

[٥]- القصف هي النحافة والدقة لا عن هزال.

النقد العروضي:

مما يزيد الجمال الشعري النغمات الموسيقية، والوحدة والانسجام، والتوافق الكامل في الحركات والسكنات من أول القصيدة إلى آخرها، فإن الأسماع المرهفة والأذواق المرتفعة تنبو عند الإحساس بشيء يخالف ذلك النظام الرقيق.

وكان المعرب إذا سمعوا كلاما حاد عن سنن العرب التي ألفتها آذانهم من النغمات الموسيقية العذبة قذفته أسماعهم مستقبحة مستنكرة، وقد عاب عبد الملك بن مروان على عبيد الله بن قيس الرقيات قوله حيث أتى بقافية مشتملة على كلمات قلقة مستكرهة غير عذبة، انعدم بها الجمال الموسيقي الفني، وهو قوله:

إن الحوادث بالمدينة قد ... أوجعنني وقرعن مروتية [1]

وجببنني جب [2] السنام ولم ... يتركن ريشا في مناكبيه [3]

فقال له عبد الملك : أحسنت لو لا أنك تخنثت في قوافيه، فقال: ما عدوت كتاب الله: "ما أغنى عني ماليه هلك عنى سلطانية [4].

---

[1]- أنظر كتاب الصناعيين ٤٥٠، وبما أراد بمروتيه الحرة الشرقية والحرة الغربية بالمدينة المنورة، و الحرة هذه أرض ذات حجارة سوداء.

[2]- الجب : القطع .

[3]- المناكب أربع ريشات تكون في مناكب الطائر بعد القوام، ولا واحد له. أنظر "المعجم الوسيط".

[4]- الآيتان من سورة الحاقة ٢٨-٢٩.

وقد مرت بعض النصوص التي تدل على أن النقاد قد تنبهوا في هذه المجالس إلى بعض العيوب الموسيقية، وعابوا على من أتى بها من الشعراء.

فقد تنبهوا إلى عيب عروض هو السناد وهو في القافية

اختلاف ما يراعى قبل الروي من الحروف والحركات، وقد تنبه إليه مروان بن الحكم، وعاب ذلك على خالد بن يزيد بن معاوية، إذ أتى به في قوله :

فلو بقيت خلائف آل حرب و ولم يلبسهم الدهر المنونا

لأصبح ماء أهل الأرض عذبا وأصبح لحم دنياهم سمينا[1]

هذا العيب العروضي وإن لم يكن خطيرا إلا أن التنبه إليه يدل على ذوق مرهف لصاحبه وشعور صادق وقلب حساس، حيث قذفت طبيعته السليمة ما أحست به من شذوذ النغم، وعدم الوحدة الموسيقية.

كما تنبهوا أيضا إلى عيب عروضي آخر هو "الأقواء" وذلك أن يخالف الشاعر بين حركة الروي المطلق بكسر وضم، وقد تنبه إلى هذا العيب الشعري عنبسة الفيل في حين كان الفزدوق ينشد يزيد بن عبد الملك قوله:

مستقبلين شمال الشام تضربنا بناصيب كنديف القطن منثور

على عمائمنا تلقى وارحلنا على حراجف ترجى مخهارير

[1] - أنظر العقد الفريد ٦/١٨١.

وبعد أن تنبه عنبسة بن معدان إلى هذا العيب غير البيت وقال:

على حراجف تزجيها محاسير [1]

بروز المصطلحات البلاغية:

وقد اهتدت هذه المجالس إلى إبراز بعض المفاهيم والملاحظات البلاغية مع محاولة وضع الحدود والشروط لها، وكانت هذه المفاهيم قد جرت على ألسنة الخلفاء، أو من حضر مجلسهم من العلماء والأدباء عن وعي وفهم متكاملين، وقد أفاد منها العلماء البلاغيون في المراحل التالية مع بداية عصر التأليف والدراسة المنظمة المنهجية حيث استخدموها مصطلحات علمية فنية.

ومن المسائل البلاغية التي تعرضت لها المجالس ما يأتي.

١ - البلاغة والإيجاز:

قال معاوية بن أبي سفيان لصحار بن العباس العبدي[2]: ما تعدون البلاغة فيكم ؟ قال: الايجاز، قال له معاوية: وما الإيجاز؟ قال صحار: أن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطيء، فقال له معاوية: أو

---

[1] - أنظر المرشح ٩١.

[2] - هو صحار بن العباس بن شراحيل من بنى عبد القيس، وخطيب مفوه، كان من شيعة عثمان، وهو من النسابين، وكان ممن نهدوا فتح مصر، شهد صفين مع معاوية بن أبي سفيان، توفي بالبصرة نحو سنة أربعين من الهجرة "أنظر الأعلام ٢٨٧/٣"

كذلك تقول صحار ؟ قال صحار: أقلني يا أمير المؤمنين، ألا تبطئ ولا تخطيء" [1] .

ما جرى بين معاوية بن أبي سفيان ﷺ وبين صحار بن العباس يشير على مقياس وضابط من ضوابط الكلام البليغ، ويعد تمهيدا لظهور مصطلحي "البلاغة والإيجاز"، حيث أفاد البلاغيون من ذلك عند وضعهم مقاييس وضوابط علم البلاغة، وهو يعتبر كذلك محاولة طيبة في معرفة الكلام الجيد من حيث مراعاة المقام.

ثم إن النص من جهة أخرى دليل على تذوق الخليفة للأدب، وذلك أن صحارا لما شرح "الإيجاز" أطال الكلام، فخالف بذلك في التطبيق قوله في شرح "الإيجاز" وتعريفه فعندئذ نبهه الخليفة قائلا : "أو كذلك تقول يا صحار"؟ فتنبه صحار إلى ذلك وصحح خطأه، وأتى بما كان مناسبا في الإجابة.

٢- البليغ:

قال معاوية بن أبي سفيان لعمرو بن العاص[2]، من أبلغ الناس؟ قال: من اقتصر على الإيجاز وتنكب الفضول" [3].

---

[1]- البيان والتبيين ٩٦/١، وانظر العقد الفريد ١١٦/٤.

[2]- هو صحابي جليل فاتح مصر، وأحد عظماء العرب ودهاتهم، وأولى الرأي والحزم والمكيدة، فيهم، ولد سنة خمسين قبل الهجرة، أسلم في هدنة الحديبية، تولي قيادة الجيش زمن النبي ﷺ، وفي زمن ابي بكر وعمر، ولاه معاوية "رضي الله عنهم" على مصر، توفي بالقاهرة سنة ٤٣هـ، انظر الأعلام ٢٤٨/٥، ٢٤٩.

[3]- مجالس ثعلب، القسم الأول الجزء الخامس ١٨٧.

٣- الفصيح والفصاحة:

قال معاوية رضي الله عنه، يوما لجلسائه: أي الناس أفصح ؟ فقال رجل من السماط يا أمير المؤمنين، قوم قد ارتفعوا عن رتة ؟ [١]، العراق وتياسروا عن كشكشة [٢]بكر، وتناموا عن شنشنة [٣] تغلب، ليس فيهم غمغمة [٤] قضاعة، ولا طمطمانينة [٥] حمير، قال: صدقت، فممن أنت؟ قال: من جرم، قال الأصمعي : جرم من فصحاء الناس [٦].

هذا النص يدل على مقياس من مقاييس الفصاحة في الكلام، وهو خلوه من صفات اللهجات المحلية، لأن اللغة النموذجية الأدبية المشتركة التي اختارها فصحاء العرب وخاصتهم، خاصة بعد الإسلام،

---

[١]- الرتة : العجلة في الكلام وقلة أناة، وقيل: هي رداءة قبيحة في اللسان من العيب، وقيل : هي العجمة في الكلام والحكلة فيه، يقال: رت رته فهورت أي في لسانه عقده وحبسة، ويعجل في كلامه فلا يطاوعه لسانه، وقيل : هي قلب اللام ياء "أنظر لسان العرب ٢/٣٣- ٣٤".

[٢]- الكشكشة: هي إبدال كاف المخاطب المؤنث عند الوقف شينا للتفريق بينها، وبين الكاف المخاطب للمذكر، وقد يجرى الوصل مجهري الوقف، مثل دارك تقول دارش، وقد يزيدون على الكاف شينا في الوقف، وربما ألحقوا الشين في الوصل أيضا، مثل عليك، تقول عليكش، "أنظر لسان العرب ٦/ ٣٤٢، وانظر "دراسات في علم اللغة" ١٤٣.

[٣]- الشنشنة هي إبدال الكاف مطلقا شينا عند أهل اليمن، سواء كانت الكاف للمخاطب المؤنث أو المذكر، و سواء كانت في الوصل أو الوقف مثل لبيك اللهم لبيك، تقول لبيش اللهم لبيش "أنظر دراسات في علم اللغة" ١٤٦.

[٤]- الغمغمة والتغمغم : الكلام الذي لا يبين "أنظر لسان العرب ١٢/٤٤٤".

[٥]- طمطمانينة : العجمة، شبه كلام حمير بكلام العجم لما فيه من الألفاظ المنكرة، "أنظر لسان العرب ١٢/٣٧١.

[٦]- العقد الفريد ٢/٣٠٥.

وقرضوا فيها الشعر، واستعملوها في أسواقهم، وكانت ملتقى قبائلهم، تجردت من تلك الصفات اللهجية إلى حد كبير، وما وصل إلينا من فصيح شعرهم كان يحاول الارتفاع عن تلك الصفات بقدر الإمكان، وعلى هذا الأساس يكون الكلام فصيحا بقدر ابتعاده عن تلك الصفات اللهجية التي صارت بعد الإسلام موضع السخرية في كثير من الأحيان[1].

٤- التعريض:

وكما مر سابقا كان من بين تلك المصطلحات البلاغية التي ابرزتها هذه المجالس أو مهدت لها، وأرهصت بها "التعريض"، ويراد به في علم البلاغة "الإشارة" إلى قصة معلومة أو شعر مشهور، أو مثل سائر من غير ذكر" [2].

وكان ذلك لما جاءت الثريا إلى الوليد بن عبد الملك لحوائج لها، وفي أثناء الكلام عرض لها الوليد بعمر بن أبي ربيعة قائلا: "أتروين من شعر عمر بن أبي ربيعة شيئا؟ فردت عليه بأنه "كان عفيف النفس عفيف الشعر"، ثم أنشدته أبياتا عرضت له فيها بأن أمه أعرابية، وكان في كلام الوليد للثريا وردها عليه تمهيدا لمصطلح علم البلاغة "التعريض"، حيث أشار الخليفة إلى قصة معلومة من غير تصريح، واختارت الثريا الأبيات للإنشاء وإشارة إلى شيء معلوم من غير

---

[1]- لمزيد من التفاصيل أنظر "في اللهجات العربية" ٣٦، ٤٥.

[2]- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ٤١٨.

تصريح، وإلى ذلك يشير الخليفة بقوله : "لله در الثريا أتدرين "خطاب لام البنين" ما أرادت بإنشادها ما أنشدتني من شعر عمر؟ قالت: لا، قال: إني لما عرضت لها به عرضت لي بأن أمي أعرابية [1].

٥- الفصل والوصل:

هو من أهم مسائل علم البلاغة لما له من أثر بالغ في تأدية المعاني ونظم الكلام،وقد تعرض له معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، حيث أمر بتفقد مقاطع الكلام، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم، كان يتفقد مقاطع الكلام، كتفقد المصرم حرمته، عندما أملى على علي بن أبي طالب كتابا، لكونه أهم شيء في البلاغة [2]، وكان يزيد بن معاوية يعتبر عدم العناية به أشد عيبا من اللحن، وكان يقول:"إياكم أن تجعلوا الفصل وصلا" [3].

من تتبع تاريخ النقد ا لأدبي وجد أنه قد مر بمراحل عديدة إلى أن استغلظ واستوى على سوقه، وبانقضاء العهد الأموي تنقضي مراحل نشوءه وارتقائه، وببداية العصر العباسي يدخل النقد في عهد الشباب والنضوج والاكتمال بعد أن كان في مرحلة الطفولة والنمو والارتقاء.

ولا شك أن النقد قبل أن يصل إلى عهده المنهجي المنظم قد خطا خطوات واسعة حيث وجدت كثير من المقاييس والضوابط النقدية التي

---

[1]- الأغاني ١/٢٣٦، ٢٣٧.

[2]- أنظر الصناعتين ٤٥٩.

[3]- أنظر نفس المصدر ٣٦٠.

على أساس منها كان النقاد يحكمون على الشعر ويفاضلون بين الشعراء، ورغم اختلاف البيئات والأزمنة والظروف لم تزل هذه الأحكام موضع تقدير واحترام في العصور التالية حين بدأ عهد النقد المنهجي المنظم عهد التأليف والتدوين.

المراجع والمصادر

١- الأدب المفرد — لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله ١٩٤- ٢٥٦هـ.

٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة — للشيخ العلامة عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن الكريم ابن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، نشر المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ.

٣- الإصابة في تمييز الصحابة — لشيخ ا لإسلام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر ٧٧٣- ٨٥٢هـ. الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨هـ بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.

٤- الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين — لخير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة.

والمستشرقين

٥- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين ٣٥٦هـ- ٩٧٦م. طبع مصور عن طبعة دار الكتب، مؤسسة جمال للطباعة والنشر.

٦- كتاب الأمالي في لغة العرب للإمام الكبير اللغوي النحوي الشهير بأبي علي إسماعيل ابن قاسم القالي البغدادي طبع دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٧- الإمامة والسياسة للإمام الفقيه أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ٢١٣- ٣٧٦ طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة الطبعة الأخيرة.

٨- البداية والنهاية للإمام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ. طبع دار الفكر العربي، الطبعة الأولى سنة ١٣٥١هـ- ١٩٣٣م.

٩- البيان والتبيان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ طبع مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة الرابعة

١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

١٠- تاج العروس العربية للإمام اللغوي السيد محمد مرتضي الزبيدي الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر سنة ١٣٠٦هـ.

١١- تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان طبع دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان الطبعة الثانية ١٩٧٨م.

١٢- تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات طبع دار الثقافة بيروت- لبنان الطبعة السادسة والعشرون.

١٣- تاريخ الإسلام "السياسي والديني والثقافي والاجتماعي" للدكتور حسن إبراهيم حسن طبع مكتبة النهضة المصرية الطبعة العاشرة١٩٨٢ م.

١٤- تاريخ الملوك والأمم لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية المصرية.

١٥- تاريخ الخلفاء للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ. الطبعة الرابعة ١٣٨٩- ١٩٦٩م مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة.

١٦-	تاريخ الرسل والملوك	لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري الطبعة الرابعة دار المعارف بالقاهرة.
١٧-	تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري	للأستاذ المرحوم طه أحمد إبراهيم طبع دار الحكمة بيروت – لبنان.
١٨-	التطور والتجديد في الشعر الأموي	للدكتور شوقي ضيف طبع دار المعارف سنة ١٩٨١م.
١٩-	تهذيب التهذيب	للإمام الحافظ الحجة شيخ الإسلام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٢٥هـ. الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند سنة ١٣٢٦هـ.
٢٠-	جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة	لأحمد ذكي صفوت الطبعة الأولى مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٥٢هـ- ١٩٣٣م.

٢١-	الجنى الداني في حروف المعاني	لحسن بن قاسم المرادي المتوفى سنة ٧٤٩هـ، طبع مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل بغداد- العراق سنة ١٩٧٤- ١٩٧٥م.
٢٢-	جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع	للسيد المرحوم أحمد الهاشمي طبع دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان الطبعة الثانية عشرة.
٢٣-	خزانة الأدب ولب لباب الإنسان العرب	لعبد القادر بن عمر البغدادي ١٠٣٠- ١٠٩٣هـ، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٩م مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٤-	دائرة معارف القرن العشرين	لمحمد فريد وجدي الطبعة الثالثة ١٩٧١ م دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت- لبنان.
٢٥-	دراسات في علم اللغة	للدكتوره فاطمة محجوب طبع المطبعة العربية الحديثة بالعباسية نشر دار النهضة العربية بالقاهرة.
٢٦-	دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى القرن الثالث	للدكتور بدوي طبانة الطبعة الخامسة المطبعة الفنية الحديثة سنة ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م.

٢٧-	ذيل الأمالي	لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي طبع مطبعة دار الكتب المصرية.
٢٨-	ربيع الأبرار ونصوص الأخبار	للإمام محمود بن عمر الزمخشري طبع مطبعة العاني بغداد.
٢٩-	زهر الآداب وثمر الألباب	لأبي إسحاق الحصري القيرواني طبع المطبعة الرحمانية بمصر.
٣٠-	شرح ديوان زهير بن أبي سلمى	للإمام أبي العباس أحمد بن يحي بن زيد الشيباني ثعلب طبع نسخة مصورة عن دار الكتب سنة ١٣٦٣- ١٩٤٤م. نشر الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة سنة ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.
٣١-	شرح ديوان جرير	لمحمد إسماعيل عبد الله الصاوي طبع مطبعة الصاوي.
٣٢-	شرح القصائد العشر	للخطيب التبريزي الطبعة الأولى ١٩٦٩م - ١٣٨٨هـ، مطبعة الأصيب، الحلب.
٣٣-	شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف	لأبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري طبع مطبعة جامعة دمشق ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
٣٤-	شعر الأخطل	ابي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي

	رواية	عن أبي سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي طبع المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين بيروت سنة ١٨٩١م.
٣٥-	الشعر والشعراء "طبقات فحول الشعراء"	لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة طبع في مدينة ليدن المحروسة سنة ١٩٠٢م.
٣٦-	كتاب الصناعتين الكتابة والشعر	لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٣٧-	العصر الإسلامي	للدكتور شوقي ضيف طبع دار المعارف، الطبعة التاسعة.
٣٨-	العقد الثمين في البلد الأمين	للإمام تقي الدين محمد بن أحمد الحسنى الفاسي المكي ٧٧٥- ٨٣٢هـ.
٣٩-	العقد الفريد	للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي المتوفى سنة ٣٢٨هـ. طبع دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م.
٤٠-	العمدة في صناعة الشعر	لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني المتوفى سنة ٤٦٢هـ، الطبعة الأولى

	ونقده	سنة ١٣٢٥هـ، ١٩٠٧م بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.
٤١-	عيار الشعر	لمحمد بن أحمد بن طباطبا العلوي طبع شركة فن الطباعة بمصر سنة ١٩٥٦م.
٤٢-	عيون الأخبار	لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦هـ، الطبعة الأولى مطبعة دارا لكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٦هـ- ١٩٢٨م.
٤٣-	فضل الله الصمد في الأدب المفرد	للأستاذ فضل الله الجيلاني الطبعة الثانية المطبعة السلفية.
٤٤-	في اللهجات العربية	للدكتور إبراهيم أنيس الطبعة الثالثة المطبعة الفنية الحديثة بالزيتون.
٤٥-	الفهرسة	لأبي النديم طبع دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.
٤٦-	قواعد الشعر	لأبي العباس أحمد بن يحي ثعلب المتوفى سنة ٢٩١هـ. الطبعة الأولى سنة ١٣٦٧هـ- ١٩٤٨م بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
٤٧-	الكاشف في معرفة من له	للإمام الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م

رواية في الكتب الستة — دار النصر للطباعة بالقاهرة.

٤٨- الكامل في التاريخ — للشيخ العلامة عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير طبع دار صادر بيروت – لبنان سنة ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٤٩- الكامل في اللغة والأدب — للعلامة أبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوي المتوفى سنة ٢٨٥هـ. نشر مؤسسة المعارف بيروت –لبنان ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٥٠- كلمات في التراث العربي — للدكتور جابر قميحة طبع مطبعة الإشعاع بالقاهرة سنة ١٩٨٢م.

٥١- الكني والألقاب — للشيخ عباس القمي طبع المطبعة الحيدرية في النجف سنة ١٩٥٦م- ١٣٧٦هـ.

٥٢- لسان العرب — للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري طبع دار صادر بيروت.

٥٣- مجالس ثعلب — لأبي العباس أحمد بن يحي ثعلب

الأصبحي الحميري ٩٣- ١٧٩هـ، طبع دار المعارف بمصر، النشر الثانية.

٥٤- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية "الدولة الأموية" للشيخ المرحوم محمد الخضري بك طبع مطابع شركة الإعلانات الشرقية ١٩٦٩ م.

٥٥- مروج الذهب ومعادن الجوهر للمؤرخ الجليل أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ طبع ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧ م. شركة الإعلانات الشرقية بالقاهرة.

٥٦- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي طبعة مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.

٥٧- المستطرف في كل فن مستظرف للإمام الشيخ شهاب الدين أحمد الأبشيهي طبع دار الطباعة السنية لحسين بك حسيني ١٢٨٥هـ.

٥٨- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية للدكتور ناصر الدين الأسد طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٢م.

٥٩- معجم الأدباء لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الجموي البغدادي الطبعة

		الأخيرة دار إحياء التراث العربي بيروت –لبنان سنة ١٩٢٢م.
٦٠-	معجم البلدان	للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي طبع دار صادر بيروت سنة ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.
٦١-	معجم المؤلفين	لعمر رضا كحالة طبع دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.
٦٢-	المعجم الوسيط	قام بإخراجه إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار تحت إشراف مجمع اللغة العربية طبع المكتبة العلمية في طهران – إيران.
٦٣-	مغني اللبيب عن كتب الأعاريب	لجلال الدين ابن هشام الأنصاري، المتوفى سنة ٧٦١هـ، طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان الطبعة الخامسة ١٩٧٩م.
٦٤-	المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام	للدكتور جواد علي طبع دار العلم للملايين بيروت – لبنان، ومكتبة النهضة ببغداد الطبعة الأولى ١٩٧٠م والثالثة

١٩٨٠م.

٦٥- المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين للدكتور فوزي السيد عبد ربه عيد طبع دار الثقافة للنشر والتوزيع سنة ١٩٨٣م.

٦٦- المقدمة لابن خلدون الطبعة الثالثة سنة ١٩٠٠م المطبعة الأدبية – بيروت – لبنان.

٦٧- المنجد في اللغة والأعلام طبع دار المشرق – بيروت

٦٨- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني ٢٩٦- ٢٨٤هـ، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ المطبعة السلفية بالقاهرة.

٦٩- نظرية اللغة في النقد العربي للدكتور عبد الحليم راضي طبع مطابع الدجوي القاهرة العابدين نشر مكتبة الخانجي بمصر سنة ١٩٨٠م.

٧٠- النقد الأدبي للأستاذ أحمد أمين طبع مطابع دار الفندور بيروت الطبعة الرابعة ١٣٧٨ هـ- ١٩٦٧م نشر دار الكتب العربي – بيروت – لبنان.

٧١- النقد الأدبي والبلاغة في القرنين الثالث والرابع "المصادر والقضايا" للدكتور علي عشري زايد الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م مطابع مجمع البحوث الإسلامية إسلام آباد – باكستان.

٧٢- نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر مطبعة بريل بمدينة ليدن.

٧٣- وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان "٦٠٨- ٦٨١هـ" الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ- ١٩٤٨م مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر نشر مكتبة النهضة المصرية.

الدوريات

١- مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق.